

بحث بعنوان

التيارات الفكرية الإسلامية في الوطن العربي نموذجاً الدعوة السنوسية

إعداد الأستاذ:

أ. عصام سمير فتحي دلول

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

إهداء

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

إلى من كَلَّتْ أُنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير (والدي العزيز)

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض (والدتي الحبيبة)

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي (إخوتي)

إلى الروح التي سكنت روحي

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنتقل السفينة في عرض بحر واسع
مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات

الأخوة البعيدة إلى الذين أحببتهم وأحبوني (أصدقائي)

الحركة السنوسية

رقم الصفحة	قائمة المحتويات
	فهرس المحتويات
2	المقدمة
4	الفصل الأول: التّعريف بالحركة السنوسية
4-5	المبحث الأول ظروف ظهور الحركة السنوسية
6	المبحث الثاني نبذة عن شخصية مؤسس الدعوة السنوسية .
10	الفصل الثاني: الاسس الفكرية و طرق نشرها
11	المبحث الأول الأسس الفكرية للحركة السنوسية
16	المبحث الثاني أسلوب الدعوة السنوسية وتطبيقها
22	الفصل الثالث: العلاقات السنوسية مع القوي الخارجية
23	المبحث الاول علاقة الدعوة السنوسية مع القوة الخارجية
25	المبحث الثاني تقييم دعوة السنوسية
28	الخاتمة
29	المراجع والمصادر
1	الفهرس

مقدمة:

بدأت الدعوة السنوسية في ليبيا مع مؤسسها محمد السنوسي وبقي مشرف عليه حتى وفاته وخلفه من بعده ابنه المهدي ومن ثم السيد أحمد الشريف وبعد ذلك حصلت ليبيا على الاستقلال وحكمت آل السنوسي حتى ثورة الفاتح عام ١٩٦٩م.

وظهرت الدعوة السنوسية بعد التغلغل الأجنبي في الوطن العربي وهذا من ما أشعل الانتفاضة عند الشعوب ومقاومتها لهذا الاستعمار الأجنبي الذي دخل يغزو أراضيها فشهد المغرب العربي حركات وقفت في وجه هذا الاستعمار و تصدت له و ظهرت بعض الحركات المقاومة المناضلة في شمال المغرب الأقصى وفي ليبيا .وهذا نحن بصدد دراسة حركتها المعروفة والتي وقفت صامدة في وجه الاستعمار الايطالي وهي "الحركة السنوسية". وهناك عدة أسباب دفعتني إلى دراسة الموضوع منها

١- التعرف على الدعوة السنوسية من حيث أهدافه وجهودها

٢- إظهار موقفها من الدين من خلال أفكارها

٣- التعرف على طرق أنتشارها

٤- التعرف على علاقتها

٥- التعرف على تاريخها الجهادي

وقد جاءت الدراسة في ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .وإما المقدمة جاءت بلمحة موجزة عن تاريخ الدعوة وظهورها وأسباب الدراسة

وما الفصل الأول فقد جاء بدراسة الظروف التي ظهرت فيها الدعوة السنوسية وفكارها

وما الفصل الثاني تعرف على الأسس الفكرية للحركة السنوسية ، أسلوب الدعوة السنوسية وتطبيقها

و أما الفصل الثالث علاقة الدعوة السنوسية مع القوة الخارجية ، تقييم دعوة السنوسية

واتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي و ذلك من خلال مرورنا على أهم الجوانب المتعلقة بهذه الحركة .وأما بالنسبة للإشكالية التي واجهتنا في اعداد هذا البحث: هو ضيق الوقت وأنقطاع الكهرباء المستمر الذي تغلبنا علي بفضل الله .

التعريف بالحركة السنوسية

المبحث الأول : ظروف ظهور الحركة السنوسية

المبحث الثاني : نبذة عن شخصية مؤسس الدعوة السنوسية .

المبحث الأول :

ظروف ظهور الحركة السنوسية

الظروف الاقتصادية:

يعود رسوخ الحركة السنوسية في المناطق الداخلية مرهونا قبل كل شيء بضرورات تطور التجارة و الزراعة، وخاصة بالضرورة المتعاضمة لتأمين الحماية لخطوط القوافل و المراكز الزراعية فوق المساحات الشاسعة لليبيا ,حيث كان النظام القبلي قد وصل في منتصف القرن 19م إلى حالة التفسخ الأمر الذي أدى إلى عملية استقرار الرحل و أنصاف الرحل وهو ما تم بصورة بطيئة لكنها محترمة.(1)

ولقد كان السنوسيون من خلال تسترهم بالمقولات الدينية، واستغلال قداسة ذوي الكرامات المرابطين بصورة واسعة ينظمون في حقيقة الحال علاقات الاستغلال داخل القبيلة، ويغطون عليها وبذلك يستملون إليهم فئة الأعيان السائرة في طريق التحول إلى الإقطاع.(2)

وقد ولد المستوى المتدني لتطور علاقات الإنتاج انعزال و تشطر القبائل لعربية و البربرية الكثيرة العدد التي كانت كل واحدة منها تعيش في عالمها المنغلق على نفسه.كما إن التشتت الاقتصادي للقبائل و النزاعات الداخلية التي لا تنتهي بسبب المراعي و مصادر المياه, و الأماد الصحراوية الكبرى التي كانت تفصل بين القبائل كل ذلك كان يعوق العمليات الوحودية التي كانت تولدها الأسباب الاقتصادية.(3)

الظروف الاجتماعية:

كانت بلاد ليبيا تعيش نظام قبلي الذي كان منقسم إلى نظام عشائري وقبلي وكل قبيلة وعشيرة لها أرض تملكها وتنتقل في أرجائها من خلال سكن والزراعة فيها وأفراد القبيلة متضامنون في أداء ما عليهم من واجبات وحقوق ، ولكل قبيلة رئيس أو شيخ له رئاسة عامة على أفرادها ، منذ أيام الفتح الإسلامي حتى العصر الحديث القبيلة أساس لتطبيق النظام ومساعدة الحكام (4)

(1) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة ،ص ٢٦.

(2) نفس المرجع :ص ٢٦.

(3) عزة نص :أحوال السكان في الوطن العربي ،ص ٧٦.

(4) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي، ٣٣ .

وما بنسبة للعلاقات القبائل مع بعضها البعض فكانت متنافرة ومنقسمة وذلك الأسباب منها جغرافية رغبة بعض القبائل في الاستقرار عند الواحات والمستنقعات الأهداف منها لكسب مناطق لرعي ومياه^(١) وما بنسبة للعداات والتقاليد كانت القبائل متمسكة في عاداته وتقاليدها من خلال المحافظة عليها .

الظروف السياسية :

منذ أن أصبحت ليبيا (طرابلس الغرب) ولاية عثمانية عام ١٥٥١م وتمكنوا من السيطرة عليها ، وفي ذلك الوقت أهملت برقة فلم تلق عناية الدولة العثمانية أو الأشرافها المباشر ما يستحق اهتمام ، حتى إذا حكمت الولاية الأسرة القرمانيية حاول أمراؤها السيطرة على الولاية فيها برقة ، ثم عاد الحكم العثماني المباشر لييجعل من برقة ولاية قائمة بذاتها عام ١٨٣٨م.

وقد حاول الحكام العثمانيون جمع السلطة في أيديهم ولكن أهل برقة لم يخضعوا للحكم الجديد ومن ثم حدثت ثورات وصدّات بين أهل البلاد والأتراك ، وحتى بات الأتراك يريدون التخلص من تلك الثورات ولهذا السبب تم الاعتراف الأتراك بالحركة السنوسية كدعوة وإمارة سياسية^(٢)

الظروف الدينية:

كانت أحوال أهل برقة الدينية تستدعي وجود داعية لإصلاح ما شاب عقيدتهم الدينية من الشوائب ، ذلك أنه بحكم مرور سنين من إهمال المصلحين الدينيين لوظيفتهم قد جعل أهل برقة يحدون عن أصول الإسلام الصحيح ، وغير متفهمين للعقيدة وإنما مقلدين ، ومن ثم أصبحوا سائرين في الضلال معرضين لخطر الأطمحلال السريع من الوجهين الدينية والخلقية ، إذ أسس بعض أصحاب النفوذ من شيوخ البدو في جبل الأخضر ضربا من الكعبة قصدوا به تقليد البيت الحرام ، وقد أراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة ان يدخلوا في أذهان البدو أن زيارتها تقوم مقام حج بيت الله الحرام^(٣) إلى غير ذلك من أعمال تنافي الدين كواد البنات وعدم الصوم رمضان بابتداع بدعة تقوم على الذهاب قبل حلول رمضان بأيام إلى وادي "زازا"^(٤) المعروف بقوة رجع الصدى وسؤاله أيصومون رمضان ام لا فيجب الصدى بالكلمة الأخيرة "لا" فيصبحون في حل من صوم ويفطرون .

(1) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ، ص ٢٦ .

(2) نفس المرجع : ص ٢٧ .

(3) أحمد حسين : في صحراء ليبيا ، ص ٤٨ .

(4) زازا : وادي يقع على بعد ٦٠ كم شرق مدينة بنغازي وحوالي ١٠ كم جنوب قرية المبنى قرب قرية الحمدةو المليطانية يمتد الوادي لاكثر من ١٠٠ كم جنوبا ويوجد به سد ضخم يعتبر الوادي من أكبر الاودية الواقعة غرب الباكور تكمن اهمية الوادي كونه من أهم مواقع الإنسان القديم

في شرق ليبيا ، : فليب رفة: الجغرافيا السياسية الأفريقييا ص ٣٣٨

المبحث الثاني :

تعريف بالشخصية المؤسس الحركة السنوسية

أولاً: اسمه ونسبه

هو محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن القطب الشهير السيد يوسف بن القطب السيد عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيّان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت إمام المرسلين مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم^(١).

ويرى الباحث الناظر في التاريخ الإسلامي يجد أن كثيراً من الدعوات ، أول ما تبدأ الدعوة في بيان اتصالها آل البيت في النسب والطاهرة،^(٢) وذلك لأن المسلمين يكونون كل الحب والولاء لأهل بيت نبيهم عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: مولده :

تحدثت بعض المصادر أن الإمام السنوسي ولد في يوم ذكرى مولد النبي الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سنة ١٢٠٢ هـ ، الموافق لـ ٢٢ / ١٢ / ١٧٩٨ م ، في بلدة تسمى (مستغانم) من مدن الجزائر . ولذلك تترك أهله بهذا اليوم فسموه محمداً نسبة إلى محمد عليه صلاة والسلام وتشير المصادر أنه قد نشأ يتيماً ، فقد توفي والده وهو صغير فنشأ في حجر عمته وكانت من الصالحات ، فأشغلته بعلم العقائد والتوحيد صغراً بعد أن جمع القرآن الكريم^(٣).

(١) عبد القادر بن عبد المالك بن علي :مُخْتَصَرُ الْفَوَائِدِ الْجَلِيَّةِ فِي تَارِيخِ الْعَائِلَةِ السُّنُوسِيَّةِ ،ص١١٠.

(٢) أدريس بن الطيب محمد الأشهب : السنوسي الكبير ، ط ١ ، ص٦٦.

(٣) محمد على الصلابي: اقتباسات من تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا ، ص٩٤ . ٦

ثالثاً: شيوخه ورحلاته

وفي تاريخ الإمام السنوسي نجد أنه قد سار في طلب العلم ورحل ، وذلك شأن علماء هذه الأمة فقد رحل أول طلبه العلم إلى فاس التي كانت تمثل كعبة العلم في بلاد المغرب ، وذلك لوجود جامع القرويين بها الذي كان منارة المغرب ، كما كان الجامع الأزهر في مصر ويلاحظ على هذا الإمام أنه شغف بالعلم منذ صغره ، ولا شك أن شيوخه واحترامه لهم وتقديره لجهودهم تنتقل إلى الطالب ، كما هو معلوم في آداب العلم والعلماء

وتشير المصادر إلى أنه مكث مدة تقارب الثمان سنوات ، درس فيها كثيراً من العلوم ، ولم يتوقف طلبه على العلوم الدينية الشرعية ، قرأ العلوم العصرية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعة ، وغيرها (١) ثم بعد إقامته بفاس سافر إلى الحجاز ومصر ، وفي هذه الفترة من حياته حدث في الأمة أو ظهر فيها الضعف ، فاحتلت الجزائر وبدأ الفرنسيون الهجوم على تلك البقعة من العالم الإسلامي ، أنها قد أخذت حيزاً من تفكيره في كيفية إعادة مجد هذه الأمة الذي بدأ يظهر (٢) ولا بد لي من التعرّيج على ذكر بعض شيوخه من علماء عصره الذين أخذ عنهم العلم ، ولست أريد حصرهم هنا ، وإنما أذكر أشهرهم (٣)

١- العلامة الأوحّد أبو عبد الله سيدي محمد بن الكندوز ،

٢- الإمام العارف بالله سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني

٣- العلامة الإمام الأصولي السيد الطيب بن كيران الفاسي

٤- الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني

(١) عبد القادر بن عبد المالك بن علي :مختصر الفوائد الفوائد الجليلية في تاريخ العائلة السنوسية ،ص ١١٢ .

(٢) محمد بن علي السنوسي : الدر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ، ١٢٣

(٣) نقولا زيادة : ليبيا ، ص ٦٤

٥- العلامة الهمام سيدي محمد بن طاهر الفيلاي

٧- العلامة المتقي المتفنن أبو المواهب سيدي أبو بكر بن زياد الإدريسي

٨- وقرأ أيضاً في مصر على الشيخ الصاوي المالكي

رابعاً: مؤلفاته وآثاره:

لا بد أن لكل عالماً كبيراً وداعية أثراً . وللإمام السنوسي رحمه الله مؤلفات كثيرة في مجالات شتى . النحو التالي :

أولاً: المطبوع منها:

١- المسائل العشر المسماة: بغية المقاصد في خلاصة الراصد ، موضوعه عشر مسائل فقهية ، خالف فيها السنوسي مشهور مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، بين أدلة مأخذه في هذه المسائل ، مناقشاً ومحرراً لمشهور المذهب في هذه المسائل .

٢- السلسيل المعين في الطرائق الأربعين ، تكلم فيه عن سلسلة الطرق الصوفية الموجودة في وقته ، وبين طرق اتصالها إلى أصحابها .

٣- إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن ، وهو في أصول الفقه ، بين فيه وجهة نظره في الاجتهاد .

٤- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلم وأصول الطرائق ، بين فيه أسانيد روايته للكتب التحديثية والفقهية ، كتبه استجابة لمن سأله بيان أسانيده في السنة .

٥- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية .

٦- المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية .

٧- رسالة مقدمة موطأ الإمام مالك رضي الله عنه ، مقدمة رائقة في بيان بعض تاريخ هذا الكتاب العظيم ، وذكر بعض شروحه ومنزلته من كتب السنة .^(١)

(١) أحمد الدجاني: أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين، ص ١٨ .

ثانياً: المخطوط:

- ١- الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشاركة .
- ٢- البذور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة .
- ٣- الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية .
- ٤- سوابغ الأيد بمرويات أبي زيد .
- ٥- رسالة جامعة في أقوال السنن وأفعالها .
- ٦- هداية الوسيلة في اتباع صاحب الوسيلة .
- ٧- طواعن الأسنة في طاعني أهل السنة .
- ٨- رسالة شاملة في مسألتي القبض والتقليد .
- ٩- رسالة السلوك .
- ١٠- شذور الذهب في محض محقق النسب .

(١) أحمد الدجاني: أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين، ص ١٩

الفصل الثاني:

الاسس الفكرية و طرق نشرها

المبحث الأول

الأسس الفكرية للحركة السنوسية

المبحث الثاني

أسلوب الدعوة السنوسية وتطبيقها

المبحث الاول:

الأسس الفكرية للحركة السنوسية

يمكن أن نحدد أسس الدعوة السنوسية في ثلاث أسس هي الأساس الديني والاجتماعي والسياسي. وهذه الأسس اتضحت في كتابات صاحب الدعوة سواء كانت كتباً مؤلفة أو رسائل إلى القبائل والمريدين والأخوان. ولقد تعددت كتب صاحب الدعوة حتى بلغت أكثر من أربعين مؤلفاً بقي بعضها وفقد البعض الآخر لإثناء الاحتلال الإيطالي للبيبا، ومن أشهر هذه المؤلفات: بدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، وهو كتاب تاريخي يتناول فيه ملوك الأدارسة ودولتهم بالمغرب، وكتاب ريحانة الخبواب في عمل السطوح والجيوب، وهو كتاب في الرياضيات وكتاب في العلوم بعنوان المنهل الروى الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق وكتاب بعنوان: السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين ونحن عرضناها سابقاً. وهذه الأسس عملت على تركيز الدعوة على ثلاث دعائم أساسية وهي:

أولاً: الأساس الديني :

تمثل هذه الأساس في الدعوة إلى الرجوع بالدين الإسلامي إلى ما كان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده، ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية هما الأصلين اللذين يصح الاعتماد عليهما في فهم الإسلام^(١) وضعت دعوته هذه في كتبه ورسائله فمن ذلك ما جاء في رسالة بعث بها إلى أهل "واجنقة"^(٢) قوله أسألكم باسم الإسلام أن تطيعوا الله ورسوله فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله فأولئك وحسن أولئك رفيقاً". نسألكم أن تطيعوا أوامر الله ورسوله فتؤتوا الصلوات الخمس كل يوم وتصومون شهر رمضان وتؤتوا الزكاة وتؤتوا فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وتجتنبون ما نهى الله عنه من قوله الكذب والغيبة وأبتزاز أموال الناس بغير حق، وشرب الخمر، وتأدية شهادة الزور وغير ذلك مما أمر الله باجتنابه، فإذا فعلتم ما أمر الله ورجعتم عما نهى الله عنه أسبل عليكم نعمة الإسلام ومنحكم الخير والرزق الدائمين^(٣)

(١) نقولا زيادة: ليبيا، ص ٧٠

(٢) واجنقة: تلك البقعة النائية وسط الصحراء الكبرى وتقع شمال شرق تشاد بإقليم إنبيدي؛ فليب رفة: الجغرافيا السياسية الأفريقية ص ٣٣٩

ولم تكن هذه الدعوة الإصلاحية بالرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في أيامه الأولى فقط ، بل قرن صاحب الدعوة بضرورة العمل بالقران الكريم والسنة المحمدية الشريفة قرن ذلك بعدم الاكتفاء بالأنكار والأوراد . كما تسيير الطرق الصوفية أو الاعتماد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل الجدي ، ومراعاة أحكام الشريفة الإسلامية في أعمال الخاصة والعامة كما العهد في أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده^(١)

ويؤكد ذلك أيضا حمله شيوخ السنوسية إلى القبائل من الوصايا الدعوة بتلاوة الذكر سرا وعلانية وأن تجعلوا اعتمادكم كله على الله وتعالى وعلى كتابه الحكيم وسنة نبيه الكريم ، إذا يجب أن نتوجه دائما إلى المولى عز وجل ونطلب منه تعالى العون والمؤزررة واخشوا الله دائما ولا تفعلوا إلا ما أمر به وابتعدوا عما نهى عن فعله ، وعملوا كلمة الحق سبحانه وتعالى ، إن رحمة الله واسعة ، وعند الله نعيم مقيم لا

أول له ولا آخر^(٢) وتضمن الأساس الديني للطريقة السنوسية تضمن كذلك اعتبار باب الاجتهاد ما زال مفتوحاً ومن ثم يجوز الاجتهاد في المسائل الدين الإسلامي التي تواجه المسلمين بشرط أن يراعى المجتهد أصلي الدين الإسلامي الوحيدين وهما القران الكريم والسنة النبوية . والأحكام التي نصت عليها . إذا كان صاحب الطريقة قد أتفق مع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب في فتح باب الاجتهاد . فقد كانت دعوة لها يبررها خاصة وقد تحجرت الأفكار عند علماء المسلمين بسبب اتجاههم نحو التقليد لا التجديد . وفي هذا المقام فقد دافع صاحب الطريقة عن المتصوفين ومذهب التصوف الحق فذكر أنه : قد يسرى في وهم من ليس له رسوخ قدم في العلم القول وأن أحوال الصوفية بعضها مباين لما عليه علماء الشريعة ، كما دخل فيه بعض الجهل والنقص^(٣)

(١) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبى ، ص ٣٦ .

(٢) محمد فؤاد الشكرى : السنوسية دين ودولة ، ص ٤٦ .

(٣) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبى ، ص ٤١ .

ثانياً: الأساس الاجتماعي :

يعتبر الأساس الاجتماعي له أهمية كما الأساس الديني ، وذلك أن الأساس الاجتماعي يتمثل في نشر الفضائل الإسلام عن طريق الزوايا التي مارست دوراً كبيراً بل الدور كله تقريباً في نشر الدعوة السنوسية ليس فقط في برقة وغيرها من الأقطار العربية بل وأيضا نشر الدين الإسلامي بين الشعوب غرب ووسط أفريقيا . ويتضح الأساس الاجتماعي من خلال الرسالة التي بعثها محمد السنوسي إلى مدينة " واجنقة" التي فيها : يا أهل واجنقة إنا نريد ننشر السلام بينكم وبين الأعراب الذين يغيرون على بلادكم ويستعبدون أولادكم ويبتزون أموالكم وأنا بعلمنا هذا نقول بما أمر الله به كتاب العزيز حيث قال سبحانه وتعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما " ويقول أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالولدين إحسانا ويذى القربى واليتامى والمساكين والجار والجنب والصاحب وبالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم"^(١)

كما أن الأساس الاجتماعي للدعوة تمثل في عدم الأقتصار على العبادة والتصوف بل دفع المسلمين إلى أن يكونوا عباداً عاملين منتجين في الزوايا التي تضم إلى جانب المسجد والمدرسة والمزرعة والمتجر " يقول فيها المسلمون بالعمل في شتى المجالات التي تحويها الزوايا ولعل خير ما يمثل هذه الروح التي أرادها صاحب الدعوة أن تكون روح الجميع هو أن بناء الزاوية نفسه كان يقوم به أهلها ، فالزاوية إذن منذ وضع حجرها الأساسي كانت رمزا للنشاط والإنتاج^(٢) وقد أمكن للدعوة السنوسية بفضل دعائها وزواياها المنتشرة بين القبائل في برقة أو غيرها من أقطار العربية والأفريقية أن تؤاخي بين القبائل المتحاربة وان يؤلف بينها وتعلمها كيف يكون الأخاء وكيف يكون الإيثار ، وحتى أصبحت كلمة "الأخوان" تعني الوفاء والإخلاص وتذكرنا بالأخوة الإسلامية في عهدنا الأول^(٣) إلى جانب تحويل المناطق المفقرة ومعازل قطاع الطرق إلى أماكن امن يأوى إليها الناس للأهداء إلى سواء السبيل وحفظ القرآن الكريم ومدارس العلوم الدينية واللغوية وبذلك أصبحت العلاقات بين القبائل هادئة ومستقرة .

(١) محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ، ص ٤٦ .

(٢) نقولا زيادة : ليبيا ، ص ٧٠ .

(٣) جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ص ١٦ .

ثالثاً: الأساس السياسي :

يقوم هذا الأساس على مبدأ أن الدين الإسلامي لم يفرق منذ ظهوره بين الدين والدولة فقد كان الرسول عليه السلام هو الزعيم الديني والسياسي في نفس الوقت ، خلفه من بعده الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين وبنو العباس وحتى السلاطين العثمانيين . وعلى هذا كانت الحركة السنوسية تستند إلى مبدأ سياسي مع استنادها إلى المبادئ الدينية والاجتماعية . انطلاقاً من أنه طالما كان الإسلام ديناً وسياسة فإنه منوط بصاحب الدعوة الذي يجمع بين الصفتين الدينية والسياسية تدبير شؤون الدنيا للمسلمين إلى جانب شؤون الدين . وعلى كانت السنوسية في طريقها إلى تأسيس أمانة لأنها أوجدت بفضل النظام الدقيق الذي وضعته لأتباع الطريقة نوعاً من السيادة الدينية والدينية معا على خير ما يقيمه الإسلام من أسس لذلك ^(١) والدليل على الدور السياسي لدعوة السنوسية من خلال الاستعداد الحربي بتعليم الرماية واستخدام السلاح وركوب الخيل وعدم الاكتفاء بتعليم أمارسة العبادات والشعائر الدينية لان المؤمن القوى أفضل عند الله من المؤمن الضعيف ، ثم إن الفرد من الأخوان ما دام قادراً وغير عاجز أو مشغول إن يكون مستعداً للطوارئ متهيئاً للحرب منتظراً للأمر منفذاً له بكمال طاعته . ومن كان فقيراً فسلحه وراحته من الزوايا التابع لها أو من أغنياء الأخوان أنفسهم ^(٢) ومن العلاقات الدبلوماسية للدعوة السنوسية من خلال اعتراف الدولة العثمانية صاحبة السيادة على ليبيا بزعامة صاحب الدعوة السنوسية وإمارته ثم الاعتراف بزعامة وإمارة خلفائه دليلاً على قوة الأساس السياسي للدعوة السنوسية ولم يكن هذا الاعتراف العثماني غريباً لأن صاحب الدعوة حرص على إقامة العلاقات الطيبة مع الدولة العثمانية وعدم إثارة شكوكها في تحركاته وتعليماته لشيوخ وزوايا من اتباعه بما أكد قوة صاحب الدعوة ونفوذه على القبائل التي فشل الحكم العثماني في إخضاعها ، ما دام صاحب الدعوة يعترف بالسيادة العثمانية فلم يكن اعتراف الدولة العثمانية بالأمانة السنوسية أمر غريباً أو منافياً لمصلحة الدولة ^(٣)

(١) محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ، ص ٤٥

(٢) نفس المرجع : ص ٥٢

(٣) نفس المرجع : ص ٥١ .

وخيرا فإن وصية صاحب الدعوة بإسناد رئاسة الطريقة والإمارة إلى الأكبر الأرشد من الأسرة السنوسية، بأضافة إلى أتباع نظام البيعة الإسلامي كل ذلك دليل حي وعملي على تأكيد الجانب السياسي للدعوة السنوسية. ذلك أن صاحب الدعوة عمل في حياته على تقديم أبنه الأكبر السيد محمد المهدي " للصلاة وألبسه السيف وخلع عليه عباءة "جردا"^(١) وصافحه دليلا على المبايعة من ثم تقدم كل الحاضرين من أفراد الأسرة السنوسية ومن الأخوان إلى المصافحة " مبايعة " السيد محمد المهدي وبذلك جمعت السنوسية في نظام الحكم بين مبدأ الوراثة والشورى وحقق في ذلك بعض شروط الإمامة^(٢)

١) محمد على الصلابي: اقتباسات من تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص ٩٧.

٢) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة، ص ٥٥.

المبحث الثاني :

أسلوب الدعوة السنوسية وتطبيقها

الدعوة السنوسية كانت مختلفة في نشر أفكارها ومبادئها الدينية والسياسية عن الحركات الإصلاح الأخرى تتمثل في التدرج الأسلوب والمسألة واللين من ناحية وابتداع أداة لتحقيق تلك المبادئ من الوسائل :

أولاً: أسلوب التدرج :

أما أسلوب التدرج والمسألة واللين فيتضح من كتب صاحب الدعوة ورسائله ، فمن ذلك ما جاء في رسالة إلى العلامة ابن الشفيح خليفته بزاوية المدينة المنورة حيث قال ... أحسنوا أخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير والصغير، قال تعالى " وقولوا للناس حسناً" وقال جل وعلا "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وقال صلى الله عليه وسلم :أرفقوا فإن الرفق ما كان في شئ إلا زانه وأن الحمق ما كان في شئ إلا شأنه ،وارفعوا أهمتكم عند الخلق وقال صلى الله وسلم :أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما أيدي الناس يحبك الناس . وعليكم بالناصحة

والمذاكرة وإرشاد عباد الله إليه والمدارسة والاجتماع والتحابب والتوادد فيما بينكم ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا وعلى البر أعوانا^(١)

ثانياً: الزوايا :

الزاوية لم تكن من السنوسية بل سبقتها الطرق الصوفية في ذلك ولكن كانت الزاوية عند السنوسية تختلف عند القديم من خلال نقاط متعددة .

من حيث الشكل والمضمون أى من حيث مواقعها وبنائها 'ومن حيث تنظيمها ورسالتها إلى جانب أنتشارها خارج برقة وبدء هذا الأنتشار . فكانت زاوية أبى قيس بمكة المكرمة أولى الزوايا السنوسية على الإطلاق قد تم تأسيسها عام ١٢٥٢ هـ الموافق ١٨٣٧ م ، وكانت الزاوية البيضاء في برقة أول مركز رئيسي للدعوة السنوسية في ليبيا وأنشئت عام ١٢٥٨ هـ الموافق ١٨٤٣ م^(١).

ثم سرعان ما انتشرت الزوايا في أنحاء العالم الإسلامي فنجد أن مؤسس الدعوة محمد السنوسي قد أنتقل إلى جوار ربه تاركاً ٦ زوايا بالحجاز ومكة وجدة والطائف ومنى ، ٩ زوايا بمصر في الواحات صحراء مصر الغربية و ١٤ زوايا في برقة مركزها الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر أولاً ثم زاوية الجغبون بعد ذلك و ٧ زوايا بإقليم طرابلس و ٥ زوايا بإقليم فزان ، وزاوية واحدة بتونس . وأضاف إلى هذا العدد السيد محمد المهدي ابن صاحب الدعوة خلفيته وزوايا أخرى منها ٧ زوايا بالحجاز . ١١ زاوية بمصر بإقليم برقة و ٥ زوايا بإقليم طرابلس وزاوية واحدة بفزان ، وزاوية واحدة في الجزائر ، و ٥ زوايا في تشاد وزاوية واحدة بالسودان ، وزوايا واحدة في نيجيريا.^(١)

ويرى الباحث أن الدعوة السنوسية كانت له دوراً كبيراً في التأثير على جميع أقطار الأفريقية المجاورة من خلال تقبل الدعوة السنوسية وبذلك زاد أنصارها وأتباعها في إفريقيا والعالم الإسلامي بسبب قوة التأثير على الجمهور والناس .

(١) محمد الطيب الأشهب : السنوسي الكبير ، ص ٣٣

ثانياً: مواقع الزوايا:

وأما مواقع من فقد تميزت بصفات سياسية وتجارية وإستراتيجية . فمن الناحية السياسية نجد الزوايا تنتشر في الدواخل أكثر من انتشارها في السواحل . والسبب في ذلك هو سيطرة الدولة العثمانية التي كانت أكثر ما تكون نفوذاً في المدن الساحلية بعكس ما كانت عليه الحال بين القبائل البدوية وسكان الواحات حيث كانوا لا يعرفون للسلطة العثمانية أى وجود وعلى هذا اختار صاحب الدعوة المناطق الصحراوية ليقيم فيها الزوايا تحاشياً لأي صدام يقع بين السنوسيين والعثمانيين ، وبعيداً عن تتبع العثمانيين لنشاطه^(١) أما الغرض الديني من الدعوة السنوسية فيذكر مصطفى باشا حاكم فزان عند بناء زاوية يقول أن الزاوية في الحقيقة إنما هي بيت من بيت الله ومسجد من مساجده والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وأسست الزاوية لنشر الشريعة أفضل ولد عدنان^(٢)

وإلى جانب الأهمية السياسية لمواقع الزوايا فقد كانت لهذه المواقع أهمية تجارية واقتصادية بصفة عامة ، فقد أقيمت معظم الزوايا في طرق التجارة والقوافل ، وكان هناك ثلاثة طرق رئيسية في الأراضي الليبية منها واحة فزان ومدينة غدامس واحة جفرة^(٣) وكانت هذه مهية لذلك بسبب قربها من مناطق ساحلية^(٤)

ويرى الباحث أن الزوايا كانت تستخدم في أغراض عدة من الدينية والتجارية لتحقيق أهدافها وذلك من خلال ملاحظنا في مواقع الزوايا التي صممت بشكل جيد لتحقيق أهدافه ورغباته.

ولعبة الزوايا دورا كبير في تشجيع التجارة القوافل التي كانت تعتبر حتى بداية القلان العشرين مورداً هاماً في الحياة الإقتصادية^(٥) كما اهتمت الدعوة السنوسية أيضاً

١) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي، ص ٥٩

٢) محمد الطيب الأشهب : السنوسي الكبير، ٢٤.

٣) واحة فزان ، غدامس واحة جفرة : هي واحات تقع في ليبيا الجفرة الثلاث جزءاً من مجموعة واحات خط عرض ٢٩٠ شمالاً، التي تمتد من غدامس إلى الركن الشمالي الشرقي الأطراف فزان، وتعد تلال سوكنه الحد الشمالي لإقليم فزان .

٤) رينشار دتوللى : عشر سنوات في بلاط طرابلس، ص ٨

٥) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي، ص ٦٠

في الزراعة الذي حث إليه صاحب الدعوة أهل القبيلة أو القبائل الواقعة في أرضينا الزراعة أو الزوايا ولا تقل الأهمية الإستراتيجية من خلال تقام في مناطق مرتفعة حصينة حتى يتمكن أصحاب الدعوة من الدفاع عن معقلها من الأعداء وجدنا العديد من الزوايا تقام فوق حضارات سابقة مثل الإغريقية والرومانية وغيرها من الحضارات التي كانت لها أثر في ليبيا ، والهدف من ذلك هو الاستفادة من آثار من خلال استخدامها في تحصين مواقعهم منها ^(١) ولهذا الجانب الإستراتيجي لبناء الزوايا تم بنا الزوايا على مواقع البحر المتوسط وبنيت فلسفة الزوايا من خلال كل زاوية تبعد عن الأخرى مسافة ٦ ساعات ، ثم أنشأ خلفها جميعا زوايا مقابلة لها تبعد كل منها عن الأخرى مسافة تقريبا نفسها ، والهدف من ذلك الانتقال بسهولة والانتشار ^(٢)

ثالثاً: أهداف الزوايا:

تهدف الزوايا إلى العديد من الأهداف منها الدينية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

- ١- **الناحية الدينية:** من خلال الدعوة إلى فضائل الدين وتجنب الرذائل بالإضافة إلى نشر الرسالة المحمدية السامية وحمل هذه الرسالة على وجه الخصوص إلى الشعوب الوثنية (الزنوج) في قلب أفريقية الغربية والسودان والصحراء الكبرى حتى اهتدت هذه القبائل المتوحشة البدوية إلى الإسلام طائفة مختارة ^(٣) الدعوة الدينية لم تكن خاصة بصاحبها فقط بل كانت من أجل المسلمين وعمل على إضافة شئ على العبادات الدينية هو الدعاء وضعه وردده أصحاب الدعوة وهو لا يتناقض مع تعاليم أئمة الفقه السابقين أو يزيد عما نزل به القرآن ^(٤)
- ٢- **الناحية التعليمية:** لقد أدت الزاوية دوراً تعليمياً كبيراً فيذكر بريتشارد في كتابه ^(٥) أبشبه بالمراكز الثقافية إلى تنتشر في العصر الحاضر في أنحاء الدول . وكانت الزاوية تشمل مدرسة قرآنية لتحفظ الأطفال القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية .

(١) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي ، ص ٥٨ .

(٢) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ، ص ٢٢ .

(٣) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة، ص ٥٠ .

(٤) أحمد حسنين : في صحراء ليبيا ، ص ٥٢ .

(٥) علي عامر جلال : الحركة السنوسية مؤسسها وفكرها وتنظيمها، ص ٤٣ . ١٩

ويلتحق الأطفال بالزاوية وتحتوي الزاوية على ما يقرب ثمانية آلاف مجلد من تفاسير والأحاديث والأصول والفقه والعلوم الطبيعية ونحو والصرف والبلاغة^(١) وغيرها العديد كما كان الطلاب العلم يتدربون على إتقان بعض الحرف والصناعات مثل صناعة البارود والأسلحة^(٢)

الناحية الاقتصادية: فكان النشاط الزاوية التجاري والزراعي من خلال تشجيع القبائل المختلفة. بعد استقرار الأوضاع في البلاد في زيادة النشاط التجاري فيها ، عمرت الطرق بالقوافل المحملة بالمواد والسلع التجارية ، وهذا إلى ما كانت تقدمه الزوايا من مساعدات وتسهيلات بهدف راحة المسافرين .

كما سجع أصحاب الدعوة على الزراعة في أرض الزوايا من المأثور عن السيد المهدي ابن محمد السنوسي أنه أهتم بتعمير الغرس وكان يقول "أنها هي كد اليمين وعرق الجبين

الناحية العسكرية: قد أهتموا السنوسيين في الناحية العسكرية من خلال وضع الزوايا في مناطق إستراتيجية لأغراض عسكرية ، كما كانوا يعلمون الأتباع صناعة الأسلحة والفروسية والرماية ، فكانت النتيجة لناحية العسكرية من خلال قدرة السنوسيين على مواجهة الغزوات الاستعمارية في إفريقيا وخير شاهد على ذلك هو صمود السنوسيين في برقة فمواجهة الاحتلال الإيطالي أكثر من عشرين عاماً^(٣)

هيكلية وتركيبية الدعوة السنوسية:

فكانت الدعوة السنوسية منقسمة إلى عدة أقسام هما :
المنتسبين هؤلاء هم أكثر في الدعوة ، المرادين وهم يعيشون في الزوايا نفسها الشيوخ الزوايا وهم الذين تلقوا العلم وتبحروا فيه فعهد إليهم بعد تخرجهم من المدرسة الأشراف على الزوايا^(٤) وكان هناك مجلس خاص حول صاحب الدعوة عرف باسم " لفظة الأخوان"^(٥)

١) رحلة الحشائشي إلى ليبيا ، ص ١٥١ .

٢) التعليم الديني في ليبيا ، ص ١٣

٣) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي، ص ٦٠

٤) نقولا زيادة : ليبيا ، ص ٥٧

وكان هناك مجلس خاص حول صاحب الدعوة عرف باسم " لفظة الأخوان
(١)"

أعتمد عليه السيد السنوسي الكبير في حركته الإصلاحية يأخذ رأيه والتشاور
مع أفراده بعد أن أحسن اختيارهم فكانوا خير مخلصين له ولدعوته (٢)
والأخوان كانوا منقسمين إلى أربعة أقسام من حيث مكانتهم العلمية والاجتماعية
، ومع ذلك فكلهم متحدون قلبا وقالبا على حسب شيخهم يرونه هو عمدتهم في
الطريق الموصل إلى الله ورسوله (٣) هذه الأقسام هي:
طبقة العلماء :التي يتكون منها مجلس الأخوان وظيفتها تقوم بإلقاء الدروس في
مراكز الحركة والدعوة .

طبقة المشايخ الزوايا وطبقة الاحتياطية وهي التي تتكون عادة من صغار
خريجي المعهد السنوسي ومن حفظة القرآن الكريم ومن المهاجري البلاد
الإسلامية (٤) وجميع هذه الطبقات يطلق عليها لفظة الأخوان.

(١) لفظة الأخوان : تعني كل إنسان خذ الطريقة السنوسية وتمسك بوردها وتسمى
الطريقة المحمدية ،:محمد السنوسي : " السلسبيل المعين في ذكر الطرائق الأربعين .

(٢) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي، ص ٦٤ .

(٣) رحلة الحشائشي إلى ليبيا ،ص ١٧٥ .

(٤) محمد الطيب الأشهب :عمر المختار ،ص ٣٥ .

الفصل الثالث

العلاقات السنوسية مع القوي الخارجية

المبحث الأول

علاقة الدعوة السنوسية مع القوة الخارجية

المبحث الثاني

تقييم دعوة السنوسية

المبحث الاول :

علاقة الدعوة السنوسية مع القوة الخارجية

أولاً: العلاقة مع الدولة العثمانية :

إن العلاقات بين دولة العثمانية والسنوسية غير واضحة وكان يوجد بلا ريب شيء من العداء يضمرة السنوسيون للأتراك الذين وضعهم ابن مؤسس السنوسية في صف واحد مع الكفار، ولكن من الحق أن يقال^(١) إن الأتراك قد سمحوا للسنوسيين بسلطة ذاتية واسعة حتى أنهم أذنوا بتأسيس دولة شبه مستقلة محاولين الاستفادة من أعمالها وتحويلها لصالح دعوتهم الإسلامية في مواجهة التهديد الاستعماري لدول الغربية وذلك من خلال وجدت علاقات طيبة نوعاً ما من خلال منح السلطان عبد المجيد الأول السنوسية في سنة ١٨٥٦م فرمان يعفي جميع أملاكها من دفع الضرائب ويسمح لرئيستها بجمع الأعشار الدينية من أتباعها^(٢) وفي أيام السلطان عبد العزيز أخى السلطان عبد المجيد أرسل فرمان ثان إلى حاكم طرابلس الغرب الذي اعتبر الزوايا السنوسية "حمى" يمكن أن يلجأ إليها الناس^(٣) كل ذلك في عهد محمد السنوسي .

أما في عهد المهدي ابن محمد السنوسي حرص المهدي على علاقات حسنة مع الدولة العثمانية وذلك من خلال طلب الدولة العثمانية من المهدي عدد من جنود السنوسية في مساعدة العثمانيين في حربهم ضد روسيا وذلك عام ١٨٧٧م .ولكن لم يلاحظ مشاركة له في الحرب الروس بقيت العلاقات حسنة مع الدولة العثمانية حتى عام ١٨٨٨م بدأت

الدولة العثمانية تشك في نوايا المهدي وذلك بعد وصول شكاوى من الأوربيين إلى الدولة العثمانية بسبب الزحف السنوسي في أفريقيا ونشر الدين الإسلامي فيه وهذا الامر يضر في مصلحة المبشرين المسيحيين في دعوتهم التنصيرية في أفريقيا

(١) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ، ص ١٧

(٢) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي، ص ٦٤ .

(٣) زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، ص ١٥٩ .

وعلى أثر ذلك أرسل السلطان وفد إلى المهدي وعلى أثر ذلك أنتقل المهدي من مركز جغبون إلى الكفرة هناك بعد أن أيقن المساعي العثمانية والأوربية ضده وإساءة معاملة السنوسيين من خلال الضرائب وتوجيه

الأتهمات ضد المهدي وعلى أثر ذلك رفضوا السنوسيين ذلك وعند قيام ثورة التركية في خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م كان موقف السنوسيين رافض ذلك بسبب سياسة "جماعة الاتحاد والترقي"^(١) القائمة على إلغاء الخلافة ومناداة بسياسة التتريك وعند توقيع الدولة العثمانية أتفاق "أوشى لوزان"^(٢) مع إيطاليا وبموجب ذلك انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا، ولكن كان موقف السنوسيين بقيادة أحمد الشريف رافضاً صلح لوزان وعند انسحاب العثمانيين اشتبكوا السنوسيين معهم ولكن لم يكن مواجهة حقيقية^(٣)

ويرى الباحث أن الدولة العثمانية في بداية كانت علاقتها مع السنوسيين مستقرة وحسنة ولكن بعد قيام الدول الاستعمارية بتسخير حجة عليهم وبيان خطرهم على الدولة العثمانية عملت على تشويه العلاقة بينها وبين السنوسيين لأهداف منها احتلال ليبيا وهذا ما حصل بعد توقيع صلح لوزان .

(١) جماعة الاتحاد والترقي: نشأت كجمعية سرية باسم اتحاد عثماني جمعيت في عام ١٨٨٩ لمجموعة من طلاب كلية الطب وهم ابراهيم طمو، عبد الله جودت، إسحاق سكوتي، وحسين زاده علي. ثم أصبحت منظمة سياسية أسسها بهاء الدين شاکر بين أعضاء تركيا الفتاة في عام ١٩٠٦ أثناء إنهيار الدولة العثمانية؛ تاريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد بك المحامي، ص١٨٠.

(٢) "أوشى لوزان: هي معاهدة وقعت بين مملكة إيطاليا والسلطنة العثمانية (تركيا) وتم توقيعها اثر الحرب التركية الإيطالية (١٩١١-١٩١٢). عقدت في قلعة أوشي في أوشي (ضواحي لوزان) بسويسرا في ٢٢ شوال ١٣٣٠هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩١٢. بموجبها انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا، كما خصلت على امتيازات في ليبيا، وتركزت أهلها وحدهم وجهاً لوجه أمام الإيطاليين؛ محمد مصطفى بازامة: العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا في ليبيا، ص١٦٥.

(٣) محمد على الصلابي : صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي

المبحث الثاني:

علاقة السنوسية مع الدول الاستعمارية :

إن الاستعمار والنشاط ألتنصيري في افريقية كان يحقد على السنوسيين بسبب ما صار لهم من قوة اعتبرها الاستعمار والنشاط ألتنصيري عقبة في سبيل نجاحهم وخصوصا دون تحقيق^(١) أهدافهم في اقتسام القارة الإفريقية التي صارت الدول الأوروبية تتكالب عليها خصوصا في الجزء الأخير من القرن ١٩م.

فبريطانيا بعد احتلال مصر صارت ترى في السنوسية عائقا في وجه مخططاتها في غرب إفريقيا حتى وصل نفوذها إلى المناطق السنوسية مما جعل الاصطدام بينهما أمر لا مفر منه، وكذلك إيطاليا عندما بينت النية على اغتصاب القطر الليبي صارت تسعى لكسب مودة السنوسيين على أساس انه بدون ذلك لن تحقق غرضها عندما تحين الفرصة المناسبة. كما كانت ألمانيا تسعى لاستمالة السيد المهدي للعمل ضد فرنسا في إفريقيا الغربية. وبما أن السنوسية أفسدت المخططات الاستعمارية في غرب إفريقيا أخذوا يلصقون التهم عليها كالتعصب ضد المسيحية واغتيال الرحالة والمستكشفين.^(٢)

وبعد أن رفض السيد المهدي الاستجابة لمطالب الألمان و تحريضهم له على تحريك الثورة في الجهات التي خضعت للفرنسيين حاولوا إبعاده عن القطر الليبي كما حاول الايطاليون استمالاته ضد الفرنسيين في تونس التي كانوا يطمعون في الاستيلاء عليها قبل فرنسا.^(٣) ولم يستحب السنوسيين لهذه الدول وقد بذل السيد المهدي جهده لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين الزاحفين حول بحيرة تشاد في زاوية برقة سنة ١٨٩٩م و تولى القيادة في الجهاد سيدي محمد البرانى وعمر المختار ورغم إحرازهم عدة انتصارات إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام المعدات الحربية الحديثة و تم الاحتلال . إلا أن السيد المهدي توفي فجأة عام ١٩٠٢م ونقل جثمانه إلى الكفرة ونقلت السنوسية إلى ابن أخ المهدي احمد الشريف.

(١) خليفة المنتصر :ليبيا المحنة وبعدها ،ص ٧٩

(٢) زاهر رياض : استعمار أفريقيا ،ص ١٦٠

(٣) محمد مصطفى بازامة :العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا في ليبيا،ص١٦١ . ٢٥

وبويع في الكفرة التي أصبحت مقرا للسنوسيين ومركز نشاطهم

وواصل احمد الشريف جهاده ضد الفرنسيين إلا أن الفرنسيين وبمعداتهم الحديثة هزموا السنوسيين في ١٩٠٦م و احتلوا وداي سنة ١٩٠٩م وقاموا بهدم الزوايا السنوسية واضطر السنوسيون إلى ترك النضال ضد فرنسا عندما أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية واخذ الأسطول الايطالي يطلق قذائفه على موانئ طرابلس وبرقة و صار على السنوسيين أن يهبوا للدفاع عن البلاد التي نشأت فيها دعوتهم وكانت مقرا لإمارتهم^(١).

وبعد أن اضطرت الدولة العثمانية إلى الاتفاق مع إيطاليا بمعاهدة لوزان سنة ١٩١٢م على الانسحاب من ليبيا نظرت إلى السيد احمد الشريف السنوسي على انه الجل الأول في ليبيا والذي يمكنه ان يدافع عن مصالح البلاد أمام المحتلين الأجانب

وقد استعد محمد إدريس لمفاوضة مع الانجليز بمصر وذلك بعد معاناة ليبيا من القحط و الجذب أثناء الحرب العالمية الأولى من قلة سقوط الأمطار وقد اتصل محمد إدريس بالسلطات البريطانية في مصر وشرح لهم عن فتح باب التعامل مع مصر إلا أن السلطات البريطانية في مصر ابلغوه بأنهم لا يدخلون في مفاوضات صلح مع العرب ما دام العرب يرفضون المفاوضة مع الايطاليين لعقد صلح معهم و هكذا وضع البريطانيون قادة ليبيا أمام الأمر الواقع.^(٢)

وقد اشترط الايطاليون على الليبيين الاعتراف بالسيادة الايطالية على برقة وبنغازي حتى الكفرة وكان هذا الأمر شرطا قاسيا ويهدد بفشل المفاوضات في أولى مراحلها.^(٣)

ثم توصلوا إلى اتفاقية في ١٦ ابريل ١٩١٧ و هي اتفاقية عكرمة أو طبرق وقد نصت على إعلان رغبة الفريقين في إنهاء القتال وفتح طرق للتجارة بكل حرية في بنغازي ودرنة و طبرق بشكل دائم كما نصت على إعادة الزوايا وأراضيها و الأملاك إلى سلطة السنوسيين، وبهذا قد تمكن محمد إدريس من تخليص الزوايا السنوسية

(١) خليفة المنتصر :ليبيا المحنة وبعدها ،ص ٨١

(٢) نقولا زيادة : ليبيا ،ص ٩١ .

(٣) محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة ،ص ٣٨٧-٣٨٨ . ٢٦

من قبضة الايطاليين كما تمكن من إبعاد السلطة الايطالية عن واحة الكفرة وقد ضحى محمد إدريس في هذه الثناء من خلال الاتفاقية خاصة لان وضع ليبيا الاقتصادي كان في تدهور واشتداد ظهور شبح المجاعة أمام الليبيين، وقد واصل السنوسيون مفاوضاتهم للايطاليين من جهة ومع البريطانيين في مصر من جهة أخرى لفتح طرق التجارة بين برقة ومصر إلا أن الاحتلال الايطالي زاد في توغله إلى الأراضي الليبية^(١) وقد زادت علاقة محمد إدريس السنوسي توترا إلا أن حال الأمير السنوسي الذي كان يشكو من المرض فترك برقة وخرج إلى مصر للعلاج إلا أن عمليات التحرير ومعارك الجهاد تواصلت رغم خروج محمد إدريس الذي ترك أمر منظمات المجاهدين في برقة إلى السيد عمر المختار وتشكلت لجنة مركزية في برقة الذي استمر في قيادة المجاهدين لمدة تسعة أعوام وقد ألغى كل الاتفاقيات التي وقعت من قبل مع ايطاليا وأعلن بذلك الحرب، إلى أن تم القبض على السيد عمر المختار في المعركة التي وقعت بالقرب من سيدي رافع وقد شعرت ايطاليا بأهمية هذا الأسير وقد تمت محاكمته ليحكم عليه بالإعدام التي نطق بها الكولونيل مار نوني وقد اعدم في يوم الأربعاء ١٦ من سبتمبر ١٩٣١م.^(٢) أهم علاقة لسنوسيين هو مشاركتهم في الحرب مع العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء. وذلك بعد قيام أنجلتر على تدريب القوات السنوسية وإعدادها وذلك لتحقيق أهدافها^(٣) وأستمرت العلاقات بين السنوسيين والانجليز بعد انسحاب القوات الإيطالية من ليبيا عام ١٩٤٣م وبقيت القوات الانجليزية موجودة في مدن ليبيا حتى بعد استقلال ليبيا عام ١٩٥١م وبقيت العلاقات حسنة وطيبة مع الانجليز حتى ملك محمد إدريس .

ويرى الباحث أن العلاقات السنوسية مع القوى الخارجية بشكل عام كانت شبه جيدة ويبدو السبب في ذلك هو البعد الديني المسيطرة على الدعوة من خلال الحفاظ على العلاقات مع الجميع ولكن ما يستغرب من تلك العلاقة السنوسية مع أنجلترا وذلك من خلال مساعدتها في الحرب العالمية الثانية وغير ذلك من علاقات .

(١) زاهر رياض : استعمار أفريقيا ،ص ١٦٥

(٢) البرجاوي، سعيد أحمد ، لإمبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري،ص ٨٧

الخاتمة:

نلاحظ أن الدعوة السنوسية تعتبر من الحركات الدينية التي حاولت الإصلاح بطرق جديدة منها من خلال التربية والزراعة والتجارة ، كما أنها دعت إلى العودة أصول الشريعة دون تغول أو ابتداع فيها ، كما أنها لم تصطدم مع القوة الإسلامية من خلال الدولة العثمانية والمشاكل العربية مع شعوبها ومن ما يدل على ذلك رفضها التدخل في مشاكل السودان أيام المهدي ، كما أن الدعوة السنوسية لها دورا بارزا في مواجهة الاستعمار من خلال خوض العديد من المعارك ضده . ولكن يؤخذ عليها في علاقتها مع أنجلتر خلال الحرب وبعدها .

قائمة المصادر :

- ❖ محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، مركز الدراسات الليبية اكسفود .
- ❖ عزة نص :أحوال السكان في الوطن العربي ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية (العالمية) ، ١٩٩٥ .
- ❖ مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي ، (الإسكندرية: مطابع عابدين. ١٩٥٣م).
- ❖ أحمد حسين : في صحراء ليبيا ، مج ٢ .
- ❖ عبد القادر بن عبد المالك بن علي :مُخْتَصَرُ الفَوَادِ الْجَلِيَّةِ فِي تَارِيخِ العَائِلَةِ السَّنُوسِيَّةِ .
- ❖ أدريس بن الطيب محمد الأشهب : السنوسي الكبير ، ط ١ ، طرابلس ، ليبيا: ١٩٥٢ .
- ❖ محمد علي الصلابي:اقتباسات من تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا ، ١٩٦٤ .
- ❖ نقولا زيادة : ليبيا ، ط ١ ، ١٩٥٨ .
- ❖ أحمد الدجاني :أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين ، ٢٠١١م، مج ٢ .
- ❖ محمد بن عثمان الحشائشي التونسي، علي مصطفى المصراطي ، رحلة الحشائشي إلى ليبيا ، ط ١ ، بيروت دار لبنان للطباعة والنشر ١٩٦٥ م
- ❖ التعليم الديني في ليبيا .
- ❖ ريتشار دتوللي : عشر سنوات في بلاط طرابلس ،، ١٩٨١ ترجمه عمر الديراوي أبو حجلة م ، دار عارف المحدودة.
- ❖ علي عامر جلال : الحركة السنوسية (مؤسسها و فكرها و تنظيمها) .
- ❖ زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، ١٩٦٤ .
- ❖ خليفة المنتصر :ليبيا المحنة وبعدها ، ١٩٤٠م، سلسلة الكتاب الليبي.
- ❖ البرجاوي، سعيد أحمد ، لإمبراطورية العثمانية، تاريخها السياسي والعسكري،
- ❖ محمد مصطفى بازامة :العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا في ليبيا.
- ❖ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية.
- ❖ محمد بن علي السنوسي ، الدر السنية في اخبار السلالة الادريسية.

تم بحمد الله